المبحث الرابع

صور من التعجل في عهد النبيّ ﷺ وموقفه منها

■ في هذا المبحث سوف نستعرض مجموعة من الصور و المواقف التي قد يبدوا فيها شيء من التعجل في عهد النَّبيّ ﷺ وكيف كان موقفه منها .

■ وسأحاول أن تكون هذه الصور والمواقف من كافة المراحل التي مرت بها الدعوة إلى الله. وفي شتى الجوانب لنستجلي موقف النَّبيّ ﷺ من العجلة في كل شيء ونأخذ من ذلك القدوة والأسوة والمنهج الذي نحتذي به إن شاء الله .

ومجمل هذه الصور والمواقف فيما يلي :

[١] تعجل الفرج في فترة الاضطهاد (٤ – ٧) من البعثة

[٢] روس في الأناة وضبط النفس من موقف الحصار في شعب أبي طالب

[٣] تعجل القتال قبل فرضه .

[٤] تعجل الرماة في يوم أحد لجمع الغنائم .

[٥] عجلة بعض الصحابة في الاعتراض على صلح الحديبية .

[٦] عجلة خالد بن الوليد في قتل بني جذيمة .

[٧] تعجل بعض نساء النَّبيّ ﷺ متاع الدنيا .

[٨] تعجل بعض الصحابة في مواجهة المنافقين .

[٩] تعجل عمر بن الخطاب في موقفه من حاطب يوم الفتح.

[١٠] الأناة مع الأعراب وعدم التعجل عليهم .

وإلى العرض والتفصيل في الصفحات الآتية .

[١] تعجل الفرج في فترة الاضطهاد (٤ - ٧)من البعثة :

لقد تحمل النبي ﷺ وأصحابه الكرام في تلك الفترة من ألوان التعذيب والاضطهاد مالا تتحمله الجبال الراوسي، فقد أمعنت قريش في تعذيب كل من آمن بمحمد ﷺ وخصوصاً المستضعفين منهم، وتحت وطأة التعذيب ربما كان بعضهم يأتي النَّبيّ ﷺ فيشكو له ويطلب منه الدعاء بالفرج ، فكان يصبرهم ويأمرهم بألا يستعجلوا .

وسأذكر لك صورة مجملة عن التعذيب[١] الذي كان يعانيه الصحابة رضي الله عنهم حتى تعرف أخي الحبيب الفارق بين استعجالنا واستعجالهم (كان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه وأخزاه وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه ، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ، وكان عمّ عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل ثم يدخنه من تحته ، ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيته ، وكان من أنعم الناس عيشاً ، فتخشف جلده تخشف الحية) [٢] .

---

(١) حدث هذا التعذيب بأيدي المشركين ، فاقرأ عما حدث بأيدي أناس يدعون الإسلام ، ذكر الشيخ الغزالي ـ رحمه الله ـ في قذائف الحق في (ذكريات معتقل) طرفا مما رأى من صور التعذيب في المعتقلات : (وفيها أنه ربما كان يسكب على المعتقل مادة مشتعلة وتشتعل فيه النار ثم يطفأ حتى لا يموت ولكن ليشعر بألم الحرق ، وكان من الصور أيضاً تخليع بعض الأعضاء كان تقلع الأظافر بآلات حديد وتخلع فروة الشعر من الرأس ، أو اللحية أو كليهما ، وقد يوضع المعتقل على صليب من خشب يسمونه (العروسة) فيصلب عليها ثم يجلد بالكرابيج ، والأدهى والأمر والذي لم يفعله أو بجهل هو أن يعذب هؤلاء المؤمنون بفعل الفاحشة فربما أجبر المعتقلون على فعل الفاحشة ببعضهم أو فُعِلَ بهم ، وربما كان يؤتى ببنت الرجل أو زوجته ليعبث بها الجنود ويفعلوا بها) . انظر قذائف الحق ص ١٦ ـ ١٢٨ط دار القلم ـ سورية ٢٠٠٢ .

قلت : ان أبا جهل وهو يعذب سُمية أم عمار لم يفكر في أن يفعل بها وإن كان ـ عليه لعنة الله ـ قد طعنها في ملمس عفتها بحربته فقتلها، ولكن هؤلاء فعلوا ما لم يفعله أبو جهل !! ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) انظر الرحيق المختوم في سيرة سيد المرسلين حتى ٨٩ دار المؤيد للنشر والتوزيع ـ الرياض ٢٠٠٢ .

وكان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي ، فكان أمية يضع في عنقه حبلاً ، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به في جبال مكة ، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه ، وكان أمية يشده شداً ثم يضربه بالعصا ، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس ، كما كان يكرهه على الجوع ، وأشد من هذا كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك : أحد أحد ، حتى مرَّ به أبو بكر يوماً وهم يصنعون ذلك فاشتراه وأعتقه (١) .

(وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم ، أسلم هو وأبوه وأمه ، فغضب عليهم مواليهم بنو مخزوم غضباً شديداً وصبوا عليهم العذاب صباً ، حتى كانوا يخرجونهم إذا حميت الظهيرة فيعذونهم برمضاء مكة ويقلبونهم ظهراً لبطن فيمر عليهم الرسول م وهم يعذبون فيقول : «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**» ، وجاء أبو جهل إلى سمية فقال لها : ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله ، فأغلظت له القول فطعنها بحربة في ملمس عفتها فماتت ، فكانت أول شهيدة في الإسلام ، ومات ياسر ـ أيضاً ـ تحت التعذيب (٢) .

(وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه مولى لأم أنمار بن سباع الخزاعية ، فكان المشركون يذيقونه أنواعاً من التنكيل يأخذون بشعر رأسه فيجذبونه جذباً ويلوون عنقه تلوية عنيفة ، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة ثم وضعوا عليه حجراً حتى لا يستطيع أن يقوم ، وكانت مولاته أم أنمار تأخذ حديدة

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٧ ، ٣١٨ ، رحمة للعالمين ١ / ٥٧ ، الرحيق المختوم ص ٩٠ .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، محنة المسلمين في العهد المكي : د / سليمان السويكت ص ٩٩ ، السيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧٠ .

فتحميها في النار ثم تضعها على رأسه) [١] .

وكان المشركون يلفون بعض الصحابة في أهاب الإبل والبقر ثم يلقونه في حر الرمضاء ويلبسون بعضاً آخر دروع الحديد ثم يلقونه على صخرة ملتهبة ، وقائمة المعذبين في الله طويلة ومؤلمة جداً ، فما أحد علموا بإسلامه إلا تصدوا له وآذوه .

هذه صورة موجزة ولو استنطقت كتب السيرة بأكثر من هذا لأجابتك ، وبرغم هذا لما قال ياسر ـ والد عمار ـ عندما مر به النَّبيّ ﷺ وهو تحت وطأة التعذيب :

(يا رسول الله : الدهر هكذا ؟ كأنه يشكو ما هم فيه ـ فقال له النَّبيّ ﷺ اصبر ، اللهم أغفر لآل ياسر وقد فعلت) وفي رواية (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) [٢] .

وعندما جاء خباب بن الأرت ـ وقد ازداد ضغط المشركين على ضعفاء المسلمين ، ولقوا منهم شدة ـ إلى النَّبيّ ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقال له : (ألا تدعوا الله ؟) ، فقعد الرسول ﷺ وهو محمر الوجهه، قال : **« كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق باثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ولا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »** [٣] .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٤٧٩ ، الرحيق المختوم ص ٩٠ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٢) انظر : صحيح السيرة النبوية : لإبراهيم العلى ص ٩٨ دار النفائس ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٧١ .

(٣) صحيح البخاري : برقم ٣٦١٢ ك المناقب .

قال الشيخ : سلمان بن فهد العودة ـ حفظه الله ـ معلقاً على هذا الموقف :

(يا سبحان الله ماذا جرى حتى احمر وجه المصطفى ﷺ وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر ، ثم عاتبهم على الاستعجال ؟ .

■ لأنهم طلبوا الدعاء منه ﷺ .

■ كلا : حاشاه من ذلك وهو الرؤوف الرحيم بأمته .

■ إن أسلوب الطلب : ألا تدعوا لنا ؟ ألا تستنصر لنا ؟ يوحي بما وراءه وأنه صادر من قلوب أمضها العذاب ، وأنهكها الجهد ، وهدتها البلوى ، فهي تلتمس الفرج العاجل ، وتستبطئ النصر فتستدعيه ، وهو ﷺ يعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها وأسبابها ، وأن قبل النصر البلاء ، فالرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف : ١١٠] .

ويلمس ـ عليه السلام ـ من واقع أصحابه وملابسات لأحوالهم ، برمهم بالعذاب الذي يلاقون ، حتى يفتنون عن دينهم ، ويستعلى عليهم الكفرة ويموت منهم من يموت تحت التعذيب ، وقد لا يكون من الميسور أن يدرك المرء بمجرد قراءة النص حقيقة الحال التي كانوا عليها حين طلبوا منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الدعاء والإستنتصار ، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسات التي كانت تثور في نفوسهم ، إلا أن يعيش حالاً قريباً من حالهم ، ويعاني في سبيل الله ما عانوا .

لقد كان ﷺ يربيهم على :

﴿ **أ** ﴾ التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل الله ويضرب لهم الأمثلة في ذلك .

﴿ **ب** ﴾ التعلق بما أعده الله في الجنة للمؤمنين الصابرين من النعيم ، وعدم

الاغترار بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا .

﴿ جـ ﴾ التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه الإسلام في هذه الحياة الدنيا ويذل فيه أهل الذل والعصيان .

﴿ د ﴾ وثمت أمراً آخر كبيراً ألا وهو أنه ﷺ مع هذه الأشياء كلها كان يخطط ويستفيد من الأسباب المادية المتعددة لرفع الأذى والظلم عن أتباعه وكف المشركين عن فتنتهم وإقامة الدولة التي تجاهد في سبيل الدين وتتيح الفرصة لكل مسلم أن يعبد ربه حيث شاء وتزيل الحواجز والعقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى الله)[١] .

[٢] دروس في الأناة وضبط النفس من مواقف الحصار في شعب أبي طالب :

لم تكتف قريش بمجرد التعذيب والتنكيل بالمسلمين فما أن كان أول السنة السابعة من البعثة النبوية حتى تمالأت قريش على مقاطعة بني هاشم ، وكان الذي غيظهم إلى هذا الحد هو ما رأوه من إسلام حمزة ثم عمر ورفض الرسول ﷺ مساومتهم التي عرضوها عليه ، ثم تواثق بني المطلب وبني هاشم كلهم مسلمهم وكافرهم على حياطة محمد ﷺ ومنعه، فأجمعت قريش أمرها على قتل النَّبيَ ﷺ .

ولكن كيف تفعل وقد أحاطه بنو هاشم جميعاً بعضهم إيماناً وبعضهم عصبية ؟ .

فاجتمعوا في خيف بن كنانة وتحالفوا على بني هاشم : أن لا يناكحوهم ولايبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على

---

(١) انظر الغرباء الأولون ص ١٤٥ ، ١٤٦ ط دار ابن الجوزي، الدمام ، الطبعة الثالث١٤١٢هـ .

ذلك وكتبوه في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة.

فتجمع بنو هاشم و بنو المطلب ـ إلا أبا لهب ـ وحبسوا في شعب أبي طالب، في هلال المحرم سنة سبع من البعثة ، ومكثوا ثلاث سنين ، وقد اشتد الحصار عليهم حتى اضطروا إلى أكل أوراق الشجر ، وحتى أصيبوا بظلف العيش وشدته، إلى حدّ أن أحدهم يخرج ليبول فيشعر بقعقعة شيء تحته ، فإذا هي قطعه جلد بعير فيأخذها فيغسلها ثم يحرقها ثم يسحقها ثم يسفها ويشرب عليها الماء فيتقوى بها ، وكانت قريش تسمع من وراء الشعب أصوات النساء والصبية يتضاغون من شدة الجوع ، وكانوا إذا حاولوا الخروج للشراء من العير التي تأتي من خارج مكة تجمع القرشيون فيزيدون في قيمة السلعة حتى يعجزون عن الشراء .

وبعد ثلاث سنين خرج نفر من قريش تصلهم ببني هاشم قربى ورحمة فنقضوا هذه الصحيفة الظالمة منهم هشام بن عمرو ،وزهير بن أمية المخزومي ـ فقد كانت أمه عاتكة بن عبد المطلب ـ والمطعم بن عدي ، وكانوا قد وجدوا الأرضة مزقت الصحيفة [١] .

وإن مثل هذا الموقف لمدعاة الإثارة المتعجلين، خصوصاً وأن هناك تجمع تحدوه عصبيتان ، عصبية الإيمان وعصبية الدم والنسب ، كما أن الشعور بالظلم والغطرسة من أخطر ما يثير الإنسان ويدفعه ، ولكنه النَّبيّ الحكيم قائد الموقف يتأنى ويضبط أعصابه ، ويأمر من معه بضبط النفس لأنه ينظر إلى ما وراء الموقف من تعزيز لقضيته العادلة .

---

(١) انظر تفاصيل الحصار في السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٤٣-٧٢ .

وقد استنبط بعض أهل العلم من المهتمين بتوجيه الشباب وإرشادهم من موقف الحصار دروساً عظيمة من أهمها:

[١] كانت تعليمات النَّبيّ ﷺ لأفراد المسلمين ألا يواجهوا العدو ، وأن يضبطوا أعصابهم ، فلا يشعلوا فتيل المعركة أو يكونوا وقودها ، وإن أعظم تربية في هذه المرحلة هي صبر أبطال الأرض على هذا الأذى دون مقاومة حمزة وعمر وأبي بكر وعثمان ، وغيرهم رضي الله عنهم ، سمعوا وأطاعوا ، فلقوا كل هذا الأذى وهذا الحقد وهذا الظلم ، فكفوا أيديهم ، وصبروا ليس على حادثة واحدة فقط ، أو يوماً واحداً فقط ، بل ثلاث سنين عجاف ، تحرق أعصابهم ، ولا يسمح لهم برمية سهم أو شجة رأس [١] .

[٢] أثبتت الأحداث عظمة الصف المؤمن في التزامه بأوامر قائده ، وبعده عن التصرفات الطائشة ، فلم يكن شيء أسهل من اغتيال أبي جهل وإشعال معركة غير مدروسة لا يعلم مداها إلا الله وغير متكافئة .

[٣] كانت هذه السنوات الثلاث للجيل الرائد زاداً عظيماً في البناء والتربية حيث ساهم بعضه في تحمل آلام الجوع والخوف ،والصبر على الابتلاء وضبط الأعصاب، الضغط على النفوس والقلوب ، وإلجام العواطف عن الانفجار.

[٤] كانت بعض الشخصيات في الصف المشرك تبنى في داخله بالتربية النبوية ، وتتأثر بعظمة شخصية النبي ﷺ وتتفاعل في أعماقها مع المبادئ التي يقدمها الدين الجديد ، وإن كان خوفها من سطوة الملأ والكبراء تحول دون إظهار التفاعل [٢] .

[٥] وكانت حادثة الحصار سبباً في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل

---

(١) انظر التربية القيادية للغضبان ١ / ٣٧١ ط دار الوفاء ـ المنصورة ١٤١٨ هـ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٣٢٠ .

(٢) المرجعين السابقين على التوالي (١ / ٣٨٥ - ٣٨٦) .

العرب فقد ذاع الخبر في كل القبائل العربية من خلال مواسم الحج ، ولفت أنظار جميع الجزيرة العربية إلى هذه الدعوة التي يتحمل صاحبها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة لكل هذا الوقت ، أثار ذلك في نفوسهم أن هذه الدعوة حق ، ولولا ذلك لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه كل هذا الأذى والعذاب .

[٦] أثار هذا الحصار سخط العرب على كفار مكة لقسوتهم على بني هاشم وبني المطلب ، كما أثار عطفهم على النَّبيّ ﷺ وأصحابه ، فما أن انفك الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام وحتى ذاع أمر هذه الدعوة وتردد صداها في كل بلاد العرب ، وهكذا ارتد سلاح الحصار الاقتصادي والاجتماعي على أصحابه وكان عاملاً قوياً من عوامل انتشار الدعوة الإسلامية على عكس ما أراد زعماء الشرك [١] .

[٣] تعجل القتال قبل فرضه :

في ظل هذه الأجواء المشحونه بالعداء والتعدي على الإسلام والمسلمين تنكيلاً وتعذيباً وتشويها لصورة الإسلام ، (كان المسلمون وخصوصاً الشباب منهم ـ وأكثرهم شباب ـ يتوقون للدفاع عن أنفسهم ، ويبدو أن الموقف السلمي أغا ظ بعضهم ، حتى جاء عبد الرحمن بن عوف وأصحابه إلى النَّبيّ ﷺ بمكة فقالوا : يا نبي الله كنا أعزة ونحن مشركين ، فلما آمنا صرنا أذلة !! . قال ﷺ : « **إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم** » [٢] .

ولما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين ، قالوا يا رسول ﷺ ألا نميل على أهل الوادي ـ يعنون منى في ليلى منى ـ فنقتله؟

---

(١)الحرب النفسية ضد الإسلام : د /عبد الوهاب كحيل ص ١٠١ ط عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٦ هـ

(٢) انظر السيرة النبوية الصحيحة : لأكرم ضياء العمري ١ / ١٨٥ ط مكتبة المعارف والحكم ـ المدينة المنورة ١٩٩٢ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨١ .

فقال رسول الله ﷺ لم أومر بهذا [١] .

وقد كان النَّبيّ ﷺ حريصاً على الخفاء والسرية فأمرهم أن يرجعوا إلى رحالهم ولا يحدثوا شيئاً ، رافضاً الاستعجال في المواجهة المسلحة التي لم تتهيأ لها الظروف بعد ، وعندما جاءت قريش تحقق الخبر موّه المسلمون عليهم بالسكوت أو المشاركة بالكلام الذي يشغل عن الموضوع [٢] .

تُرى لماذا كان النَّبيّ ﷺ يؤخر المواجهة المسلحة ؟ ويرفض متابعة المتعجلين للمواجهة دفعاً للظلم عن أنفسهم؟ ذلك لأنه مأمور بأمر ربه ـ سبحانه وتعالى ـ .

لكن اجتهد بعض أهل العلم في استنباط بعض الحكم من وراء الأمر ومنها :

[١] أن الكف عن القتال في مكة ربما لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة ، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة تربية الفرد العربي على الصبر على مالا يصبر عليه عادة من الظلم حين يقع عليه أو على من يلوذون به ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته فلا يندفع لأول مؤثر ، ولا يهتاج لأول مهيج ، ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته ، ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد بأوامر القيادة الجديدة ، حيث لا يتصرف وفق ما تأمره ، مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته ، وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي المسلم لإنشاء المجتمع المسلم .

[٢] وربما ذاك لأن الدعوة السليمة أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف ، والتي قد يدفعها القتال معها ـ في مثل هذه الفترة إلى زيادة العناد ونشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة أمثال داحس

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦١ ، السيرة النبوية الصحيحة ١ / ٢٠١ ، دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ د دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٧ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي ١ / ٤١٧ ، الهجرة النبوية المباركة : د/ عبد الرحمن البرّ ص ٦٥ ط دار الكلمة المنصورة ١٤١٨ هـ

والغبراء والبسوس ، وحينئذ يتحول الإسلام من دعوة إلى ثارات تنسى معها فكرته الأساسية .

[٣]وربما كان ذلك ـ أيضاً اجتنابا لإنشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت ، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين وإنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد ، ومعنى الإذن بالقتال ـ في مثل هذه البيئة ـ أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال : هذا هو الإسلام !! ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال !! فقد كانت دعاية قريش في الموسم : إن محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته ، فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد والمولى بقتل الولي ؟ .

[٤]وربما كان ذلك ـ أيضاً ـ لما يعلمه الله من أن كثير من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم بأنفسهم هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلصين ، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟.

[٥]وربما كان ذلك ـ أيضاً ـ لقلة عدد المسلمين حينئذٍ وانحصارهم في مكة حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة العربية ، أو بلغت ولكن بصورة متناثرة حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها ، لترى ماذا يكون الموقف ، ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة ، حتى ولو قتلوا أضعاف من سيقتل منهم ، و يبقى الشرك ولا يقوم للإسلام في الأرض نظام ، ولا يوجد له كيان واقعي ، وهو دين جاء ليكون منهج حياة ونظام دنيا وآخرة .

وهذه الاعتبارات الماضية لعلها كانت بعض ما اقتضت حكمة الله في أن يأمر المسلمين بكف أيديهم في تلك المرحلة ليتم تربيتهم وإعدادهم ، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة الرشيدة في الوقت المناسب [١] .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن ٢ / ٧١٤ ، ٧١٥ ، الولاء والبراء : لمحمد القحطاني ص ١٦٩-١٧١ ، والسيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨٢ -٢٨٤ .

وقد تعلم المسلمون من تلك المواقف ومن القرآن الكريم فقه المصالح والمفاسد ، وأن المصلحة إن أدت إلى مفسدة أعظم تترك . فقد جاء القرآن يقول لهم : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] . وفي هذا تهذيب أخلاقي، وسمو إيماني ، وترفع عن مجاراة السفهاء الذين يجهلون الحقائق ، وقلوبهم خالية من معرفة الله وتقديسه (١) .

والناظر في الفترة المكية والتي كانت ثلاثة عشر عاماً كلها في تربية وإعداد وغرس لمفاهيم (لا إله إلا الله) يدرك ما لأهمية هذه العقيدة من شأن في عدم الاستعجال واستباق الزمن ، فالعقيدة بحاجة إلى غرس يتعهد بالرعاية والعناية والمداومة بحيث لا يكون للعجلة والفوضى فيها نصيب ، وما أجدر الدعاة إلى الله أن يقفوا أمام تربية المصطفى ﷺ لأصحابه على هذه العقيدة وقفه طويلة ، فيأخذوا منها العبرة والأسوة ، لأنه لايقف في وجه الجاهلية أيا كانت قديمة أو حديثة أم مستقبلية ، إلا رجال اختلطت قلوبهم ببشاشة العقيدة الربانية ، وتعمقت جذور شجرة التوحيد في نفوسهم (٢) .

كما كان النَّبيّ ﷺ يأتيه القرآن ليسليه وليسلي أصحابه في تلك الظروف فكانت آياته تنزل برداً وسلاماً عليهم ، كانت تركز على ضرب الأمثلة بالسابقين في هذا الطريق ممن أوذي في الله ، فكان مما نزل ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [العنكبوت : ١-١٠] .

---

(١) التفسير المنير : للزحيلي ٧ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ والآية من سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) انظر الولاء والبراء ص ١٧١ ط دار طيبة ـ الرياض ـ الطبعة السادسة ١٤١٣هـ .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا من قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

(كما نزلت سورة المزمل ترشد الصحابة إلى حاجة الدعاة إلى قيام الليل ، والدوام على الذكر والتوكل على الله في جميع الأمور و وضرورة الصبر ، ومع الصبر الهجر الجميل ، والاستغفار بعد الأعمال الصالحة ، وكانت الآيات الأولى منها تأمر النَّبيّ ﷺ أن يخصص شطراً من الليل للصلاة ، وخير أن يزيد عليه أو ينقص منه فقام النَّبيّ ﷺ ومعه أصحابه قريباً من عام حتى ورمت أقدمهم فنزل التخفيف عنهم بعد أن علم الله منهم اجتهادهم في طلب رضاه ، وتشميرهم لتنفيذ أمره ومبتغاه ، فرحمهم ربهم فخفف عنهم فقال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ [المزمل : ٢٠] فكان امتحانهم في الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس لتربيتهم على المجاهدة في عالمهم ، إذ لابد من إعداد روحي عالٍ لهم) [١] .

فليفهم الجيل المعاصر أنه لن يبلغ غايته بالعجلة ، وإنما بالإعداد الجيد الذي يقتدي فيه برسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

[٤] تعجل الرماة في يوم أحد لجمع الغنائم :

وهذا الحديث مشهور في تاريخ الإسلام ،قال ابن هشام في السيرة النبوية :

(. . وأمَّر ـ يعني رسول الله ﷺ ـ على الرماة عبد الله بن جُبير أخا بني عمرو وهو مُعلم يومئذٍ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال ، انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت في مكانك لا نؤتى من قِبلك) [٢] .

---

(١)انظر السيرة النبوية للصلابي ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١ / ١٦٠ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٢٢ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٨ .

وفي رواية : (**الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فإذا رأيتمونا نُقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنّا ، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل ، إنا لن نزال غالبين ما كنتم مكانكم ، اللهم إني أشهدك عليهم**) [١] .

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش بعد تلاحم الفريقين ، ورأوا الغنائم في أرض المعركة جذبهم هذا إلى ترك مواقعهم ـ ظانين أن المعركة قد انتهت ، فتعجلوا ونزلوا عن الجبل وقد روى البخاري : (أن الرماة قالوا : لأميرهم عبد الله ابن جبير : الغنيمة ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون . فقال عبد الله ابن جبير ، أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ قالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما غنم النَّبيّ ﷺ وأباحوا معسكر المشركين أكبّ الرماة جميعاً فدخلوا في المعسكر ينهبون وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ـ فهم كذا ـ وشبك بين أصابع يديه والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا عليها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناسٌ كثير) [٣] .

انظر ماذا فعل تعجل الرماة ؟ ، خالفوا أمر النَّبيّ ﷺ وعرّضوا جيشه ليتمكن منه أعداؤه .

قال الدكتور . محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ :

لقد كانوا منذ ساعة يقاتلون بوحي من إيمانهم ، ودفاعاً عن عقيدتهم وهاهم الساعة يقاتلون لينجوا من براثن الموت ويفلتون من الأسر) [٤] .

---

(١) السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي ٢ / ٤٩٦ ط دار المعرفة .

(٢) صحيح البخاري : ك الجهاد برقم (٣٠٣٩) .

(٣) مسند الإمام أحمد ١ / ٢٨٧ برقم (٢٦٠٨) من حديث ابن عباس .

(٤) السيرة النبوية : للدكتور محمد محمد أبو شهبة ٢ / ١٩٥ ط دار القلم سوريا ٢٠٠٢ .

وقال اللواء / محمود شيت خطاب ـ رحمه الله ـ :

(**من أسباب خسائر المسلمين في أُحد** : مخالفة الأوامر،فإن تنفيذ الأوامر هي الضبط العسكري الذي يعتبر روح الجندية والسبب المباشر لكل انتصار في كل معركة،ومخالفة الرماة في ترك مواقعهم والإسراع لجمع الغنائم خطأ كبير وقع فيه المسلمون حينذاك، إذ كُشف للعدو ظهورهم، فاستفاد خالد من هذه الفرصة السانحة لتطويقهم من الخلف،مما أدى إلى الإطباق عليهم من كافة الجهات) [١].

ولقد وعظ الله ـ تعالى ـ المسلمين وذكرهم في القرآن بأن الطبيعة البشرية التي تحب العاجلة تغلبت على نفوس بعض الرماة فخالفوا وفارقوا أماكنهم ، وكان هذا بعد أن أراهم الله ما يحبون وهو النصر ، فلم التعجل

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

قال الشيخ / السعدي ـ رحمه الله ـ :

(ولقد صدقك الله وعده بالنصر فنصركم عليهم ،حتى صرتم عوناً لأعدائكم عليكم ، فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف وتنازعتم فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النَّبيّ ﷺ ومن قائل ما مقامنا وقد انهزم العدو ولم يبق محذور فعصيتم الرسول وتركتم أمره بعدما أراكم الله ما تحبون ، وهو انخذال أعدائكم .. ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ وهم الذين تعجلوا فخالفوا ، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ وهم الذين لزموا أمر رسول الله ﷺ وثبتوا حيث أمروا ..)[٢] .

---

(١) الرسول القائد : للواء محمود شيت خطاب ص ١٢٠-١٢١ ط مكتبة الحياة ، بيروت ، الثانية.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ / ناصر السعدي ص ١٣٥ .بتصرف ط دار ابن حزم ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٣ .

وقال الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ :

(والأظهر عندي أن يكون معنى ما تحبون هو الغنيمة ، فإن المال محبوب .. وعدل عن ذكر الغنيمة باسمها إلى الموصول تنبيهاً على أنهم عجّلوا في طلب المال المحبوب ، والكلام على هذا تمهيد لبساط المعذرة ، إذ كان فشلهم وتنازعهم وعصيانهم عن سبب من أغراض الحرب وهو المعبر عنه بإحدى الحسنيين ، ولم يكن ذلك عن جبن ولا عن ضعف إيمان أو قصد خذلان المسلمين ، وكله تمهيد لما يأتي من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ .. تسكيناً لخواطرهم ، وفي ذلك تلطف معهم على عادة القرآن في تقريع المؤمنين .. وفيه أيضاً دلالة على صدق إيمانهم إذ عجّل لهم الإعلام بالعفو لكيلا تطير نفوسهم رهبة وخوفاً من غضب الله) [١] .

وهكذا أخذ المسلمون درساً بليغاً مريراً بسبب تعجل نفراً منهم وإن كان المتعجلون نفر قليل ، إلا أن الجماعة بأكملها تحملت نتائج هذه العجلة .

وهذا نراه كثيراً في واقع الأمة الإسلامية ، وخصوصاً في الجماعات المتصدرة للدعوة، قد يتعجل أفراد من هنا وهناك، ويحصل الاختلاف وتعمّ الفتن ، ويوجه اللوم إلى كل الجماعة مع أنه فعل أفراد ؛ وربما تكون عجلة وحماقة المتعجلين سبباً في إعراض الناس عن إخوانهم من أصحاب الأناة والحلم زمناً حتى تتكشف لهم الحقائق وأنهم ليسو سواء ، فليتق الله كل داعية ولا يتحدث باسم الإسلام إلا إذا عرف واجباته ، وتحلى بالأناة والصبر والتؤدة وهو يبلغ عن رسول الله ﷺ ويدعو الناس إلى الله تعالى .

[٥] عجلة بعض الصحابة في الاعتراض على صلح الحديبية :

حيث أن النَّبيّ ﷺ بعد أن تمت المفاوضات بينه وبين المشركين عقد صلحاً بشروط امتعض منها بعض الصحابة ظناً منهم بأنها مجحفة بالمسلمين ، ودفعت

---

(١) تفسير التحرير والتنوير: للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ٣ / ١٣٠ ط دار سحنون ، تونس.

العجلة بعضهم أن يظهر المعارضة علناً ، قال ابن هشام :

(فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنيّة في ديننا ؟ ، قال : أبو بكر : يا عمر « الزم غرزه » فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ألست برسول الله ؟ ، قال : بلى قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال فعلام نعطي الدنيّة في ديننا ؟ .

قال : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره ولن يضيعني .

قال : فكان عمر يقول: مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً) (١) .

ولكن مع هذا عندما تبدت الأمور لعمر عرف أنه كان متعجلاً في موقفه هذا ، ولم يدرك بُعد نظر رسول الله ﷺ فكان يُكفر عن هذا الفعل بالصلاة والصيام والصدقة والعتق مخافة كلامه الذي دفعه إليه التعجل .

إن هذا الموقف ليس سهلاً ، وإنما قد يصدر من أناس غير الصحابة ، وليس لهم إيمان الصحابة رضي الله عنهم فقد يُحدث انقلابا في الدولة الإسلامية ،وقد يكون مع قائد غير رسول الله ﷺ فيأمر بقتلهم فيبوء بإثمهم ، ومن هنا تبدو خطورة التعجل في المعارضة .

قال اللواء ركن / محمود شيت خطاب ـ رحمه الله ـ :

(لا أكاد أقرأ تفاصيل غزوة الحديبية كما ترويها كتب السيرة إلا وأهتف من صميم نفسي : ما أعظم الضبط الذي كان يتحلى به الرسول وأصحابه حينذاك ؟

---

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ٣ / ٢٢٧ ط دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٨ .

لم يكن موقف المسلمين سهلاً أثناء مفاوضات الهدنة وبعده حتى عودتهم إلى المدينة ، فقد كان الرسول ﷺ يعرف أهدافه القريبة والبعيدة ، ويعمل لها بصبر وأناة وإصرار ، ولكن كيف السبيل إلى إفهام كل تلك الأهداف إلى المسلمين في مثل تلك الظروف ؟ .

أما المسلمون فما أصعب موقفهم ! لم يكن أحد منهم يشك في دخول مكة ، فانهارت آمالهم أثناء المفاوضات ، ولم يكن أحد يفهم أسباب الهدنة ، فشاهدوا هذه الهدنة تصبح أمراً مفروغاً منه ، وكانت عقيدتهم تطغى على كل شيء سواها ، فوجدوا إخوانهم المستضعفين من المسلمين يُردون إلى المشركين ليفتنوهم عن دينهم ـ ولو كان المسلمون ـ يومئذٍ ضعفاء أو يشعرون بالضعف لهان الخطب ، ولكنهم أقوياء مادياً ومعنوياً ، فكيف يقتنعون بالهدنة في شكلها وأسلوبها الذي كان) [١] .

إن ضبط الرسول ﷺ أعصابه أثناء المفاوضات وبعده على الرغم من تذمر بعض المسلمين ، وضبط المسلمين أعصابهم في مثل ذلك الموقف على الرغم من حنق بعضهم على المفاوضات والهدنة كل ذلك يدل على تحلّي المسلمين حينذاك بالضبط المتين بشكل يدعوا إلى الإعجاب الشديد) [٢] .

إن الشيء الذي لم يفهمه المتعجلون في غزوة الحديبية هو أن الرسول ﷺ وافق على تلك الشروط لبُعد نظره فهو يريد حرب الدعاية ضد خصمه . فلقد شن المسلمون على قريش بخروجهم لزيارة البيت العتيق أضخم حرب للدعاية ، فلقد أظهروا تعظيمهم للبيت بصورة عملية لا تقبل الشك والمماراة ، فتسامع العرب بذلك ، فلما أصرّت قريش على رجوع المسلمين دون زيارة المسجد الحرام، اعتبر العرب أن قريشاً ظلمت المسلمين فليس لها أن تحرم أحداً جاء لتعظيم

---

(١) الرسول القائد : لمحمود شيت خطاب ص ١٨٨ ط مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الثانية .

(٢) الرسول القائد : ص ١٨٩

البيت من زيارته بل إن هذه الدعاية كادت أن تثير حرباً أهلية داخل مكة .. فكان هذا إثارة للرأي العام ضد قريش لصدها المسلمين عن البيت الحرام ، مما أكسب المسلمين عطف كثير من القبائل وكثير من قريش نفسها والمنطقة المجاورة لها ، مما سهّل عملية فتح مكة فيما بعد وبهذا تصبح غزوة الحديبية حرب دعاية من الطراز الممتاز [١] . [٢] .

وأنى للمتعجل أن يفهم هذا الفهم البعيد ، وتُرى لو أطاعهم النَّبيّ ﷺ في تعجلهم وامتعاضهم على هذا الصلح فلم يُبرمه وخاض بهم القتال هل كان مكسب الدعوة سيكون بنفس هذا المقدار الضخم ؟ .

بالطبع لا ، بل ربما استطاع خصمهم أن يحقق كسباً لقضية بأن يُشهر بالرسول ﷺ وبدينه ، فيقول هذا الرجل الذي زعم أنه يدعو إلى الله لا يعرف الحُرمات ، وقد جاء منتهكاً لحرمة البيت الحرام الذي نعظمه ونجله عن القتال فيه، فليحذر الدعاة من العجلة جرياً وراء تحقيق مكسب صغير للدعوة على حساب مكاسب ضخمة يضيعونها ، وليحذروا من أعداء دعوتهم ، فقد يستفزونهم ثم يتخذوا من انفعالهم وعجلتهم دعاية ضد الإسلام .

[٦] عجلة خالد بن الوليد في قتل بني جذيمة :

(بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فقام رجل منهم يسمى : جحدرا فقال : ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً ، فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٣ .

(٢) قارن بين حرب الدعاية في الإسلام ، وبينها في غيره من النظم . ، فهي في الإسلام تقوم على الحكمة لخدمة قضية عادلة ، وأما في غيره فهي تعتمد على الكذب والخداع لخدمة قضايا باطلة

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا ،وخالد يأخذ فيهم أسراً وقتلاً ، فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك ، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحداً أسيره ، فامتثل البعض ، وامتنع عبد الله بن عمر وامتنع معه آخرون من قتل أسراهم ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه ، فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد - مرتين - .

وقد أنكر على خالد الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف وقال له عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، وكانت بينهما ملاحاة قال له فيها عبد الرحمن : إنك ثأرت لعمك الفاكه بن المغيرة وكان بعض بني جذيمة قتلوه في الجاهلية . .فبعث إليهم النَّبيّ ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج عليّ حتى جاءهم فودى قتلاهم ، وعوضهم خيراً ، وبهذا التصرف النبوي الحكيم واسى النَّبيّ ﷺ بني جذيمة وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن) [1] .

فهذا الموقف تعجّل فيه خالد رضي الله عنه في إصدار حكمه على بني جذيمة فجانبه الصواب فيما فعل ، فالقوم - أي بني جذيمة - من الضعف بمكان ، بدليل أنهم ألقوا السلاح ، وأصبحوا أسارى مقيدين ، دعاهم إلى الإسلام فقبلوه ، ولكنهم لم يحسنوا التعبير ، فعبروا بالعبارة التي كان يطلقها الكفار على من يدخل في الإسلام فيقولون عنه : (صبأ مع محمد) فجعل بنو جذيمة يقولون : (صبأنا صبأنا) يريدون دخلنا في الإسلام وتابعنا محمداً عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٣١ والسيرة النبوية لأبي شهبة ٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ والسيرة النبوية للصلابي ٢ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، وأصل القصة في صحيح البخاري برقم (٣٩ - ٤٣) ك المغازي ، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة .

ولكن خالداً اجتهد في الأمر على عجلة فأداه اجتهاده إلى أنهم لم يسلموا فأعمل فيهم السيف .

ونحن لا نشك ـ ولا أحد من المؤمنين الذين يعرفون أقدار الصحابة رضي الله عنهم ـ في أن خالد رضي الله عنه إنما أراد نصرة الإسلام وأنه اجتهد في أمر وتأول فأخطأ ، ففهم كلامهم « صبأنا » أنهم يتبرؤون من الإسلام لا أنهم يريدون الإسلام ، ولعل هذا هو السبب في أن النَّبيّ عذره ولم يعزله ، وإن كان تبرأ من فعله إلى الله ، وما كان رسول الله ﷺ يداهن أو يخاف في الحق لومة لائم [١] .

وقد جر تعجل خالد رضي الله عنه كثيراً من اللوم والعتب عليه ، سواءً من أصحابه الذين أنكروا عليه ، أو من رسول الله ﷺ الذي تبرأ إلى الله مما صنع ، أو من أعداء الإسلام الذين شنعوا على خالد في هذا الموقف مستغلين روايات التاريخ متجاهلين لأقدار الصحابة مسيئين الظن بهم ، فأشاعوا أن الإسلام دين غدر ، يعطي الأمان ثم يغدر ، ونافح الشيخ محمد الصادق عرجون في الدفاع عن خالد وتجلية مواقفه والاعتذار عنه بما يليق به في كتاب كامل سماه باسم « خالد » فجزاه الله خيراً .

ويشبه هذا الموقف موقف أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما بعثه إلى الحرقة [٢] فقاتلهم وهزمهم ، قال أسامة :

(فتعقبت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي فقتلته . فلما قدمنا بلغ النَّبيّ ﷺ فقال : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ ،فقلت : كان متعوذاً [٣] ، فمازال

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة ٢ / ٤٦٥ .

(٢) الحرقة : بطن من جهينة سموا بذلك لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة فأحرقوهم بالسهم ، فتح الباري ١٤ / ١٧٥

(٣) معنى متعوذاً : أي بالكلمة ، يعني قالها خوفاً من السلاح ، كما في بعض الروايات ، وفيها «**أشققت عن قلبه** » .

يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم [١] .

فانظر كيف دفعت العاطفة الجياشة والحماس الذي انطوى عليه قلب أسامة إلى الاستعجال في الحكم بأنه لم يسلم (وإنما قالها خوفاً من السلاح) [٢] ، كما ذكر أسامة رضي الله عنه ذلك للنبي ﷺ في بعض الروايات ـ ونسي أسامة رضي الله عنه أن الله عز وجل ـ وحده هو المطلع على القلوب وماتكنه وتخفيه، لذلك قال له النَّبيّ ﷺ في رواية أخرى: **(أشققت عن قلبه) (من لك بلا إله إلا الله) (وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا أتتك يوم القيامة ؟)** ، وما زال يكررها حتى قال أسامة رضي الله عنه : (وتمنيت أن لم أكن أسلمت ذلك اليوم) ، (لأن الإسلام يجب ما قبله ، فتمنى أن ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الغفلة) [٣] .

وهذا يدل على رفض النَّبيّ ﷺ الاستعجال حتى ولو كان من أحب الناس إليه وأقربهم منه .

فليتعلم الدعاة من تلك المواقف ، وليعلموا أنهم إن تعجلوا فسوف تلحقهم وتلحق دعوتهم نتائج تعجلهم ، ولن يرحمهم التاريخ والناس فهم ليسوا أعظم قدراً من خالد ولا أسامة رضي الله عنهما .

[٧] تعجل بعض نساء النبيّ ﷺ متاع الدنيا :

النفس البشرية مفطورة على حب العاجلة وهي الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾** ﴾ [القيامة : ٢٠] ، ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ** ﴾ [الإسراء : ١٨] .

وقد حدث : (أن أزواج النَّبيّ ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه

---

(١) صحيح البخاري ٦٩ ٤٢ ك المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الحرقات من جهينة .

(٢) انظر فتح الباري ١٤ / ١٧٧ .

(٣) المرجع السابق ١٤ / ١٧٧ .

الزيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض ، فآلى منهن شهراً . وأنزل الله تعالى آية التخيير ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ .

[الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .

ومعنى ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : سعتها ونضارتها ورفاهيتها والنعيم فيها .

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النَّبيّ ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً ، فقال عمر : لأكلمن النَّبيّ - لعله يضحك . فقال عمر : يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني نفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النَّبيّ حتى بدت نواجذه ، وقال : هن حولي يسألنني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده !! فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبدا ليس عنده ، ثم اعتزلهن شهراً كاملاً أو تسعاً و عشرين يوماً ، ثم نزلت عليه هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال : فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ ، فقرأ عليها الآية ، قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت لي ، قال : لا تسألني منهن امرأة إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني مُعنتاً ولا مُتعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً) [١] .

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣٦٩٠) ك الطلاق ، باب اعتزال النبي ﷺ أزواجه شهراً ونزول التخيير.

فهذا موقف يظهر فيه أن بعض نساء النَّبيّ ﷺ نظرن ما هن فيه من ضيق العيش وقلة مُتع الحياة ،وإلى ما عند الآخرين من المتاع فاستجبن للطبيعة البشرية، فسألن رسول الله ﷺ زيادة النفقة بحيث يُحصلن شيئاً من رغد العيش ورفاهيته. فدل هذا الموقف على أن هذا كان منهن تعجلاً لمتاع الحياة الدنيا .

وقد ترتب عليه أمران :

﴿ ١ ﴾ لحوق الكآبة والهم برسول الله ﷺ ويدل عليه قول جابر في الحديث السابق) :فوجد النَّبيّ ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً) . والسكوت والوجوم علامات على الهم والكآبة ، حتى التفت نظر عمر رضي الله عنه إلى هذا فحاول أن يسري عن النَّبيّ ﷺ ويضحكه فذكر له ما طلبه منه امرأته وكأنهن متفقات.

﴿ ٢ ﴾ تعطيله عن الخروج للناس الواقفين ببابه ، وهذا تعطيل له عن الدعوة ، يدل عليه قول جابر رضي الله عنه : (. . فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم).

وكان موقف النَّبيّ ﷺ من هذا التعجل لمتع الحياة الدنيا هو عدم الرضى لهذا الفعل حتى إنه أعلن غضبه فآلى منهن شهراً حتى نزلت آية التخيير .

وقد حدث هذا في بيت النبوة الطاهر ليتم الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ ، لكل داعية بعده ، لأن الداعية إذا أقبل على متاع الحياة الدنيا شغله عن مهام دعوته ، وإذا استجاب لضغط وطلبات زوجته وأولاده عاقه هذا كثيراً عن أداء عمله ، ولا يعني أن يحرم الدعاة أنفسهم من متاع الدنيا أو يحرّموه ، وإنما ينبغي أن لا يتعجلوا فيكون ذلك على حساب دعوتهم ، وينبغي أن يفهم أزواج الدعاة هذا ويتأسين بالطاهرات أمهات المؤمنين عندما قلن بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وليعلمن أنهنَّ إن أعَنَّ أزواجهن على الدعوة كان لهنَّ مثل أجورهم .

ويأخذن القدوة من نساء هُنَّ دون أمهات المؤمنين ، ولكنهن فهمن الموقف وطبقنه ، فكانت المرأة إذا خرج زوجها في الصباح تقول له :(اتق الله فينا ولا

تدخل علينا حراماً ، فإنا نصبر على حرّ الجوع ولا نصبر على حرّ جهنم) [١] .

قال صاحب الظلال - رحمه الله - مصوراً الموقف :

(لقد اختار النَّبيّ ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف ، لا عجزاً عن حياة المتاع ، فقد عاش حتى فتحت له الأرض وكثرت غنائمها ، وعمّ فيؤها ، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد ، ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا توقد في بيوته نار ، مع جوده بالصدقات ، والهبات ، والهدايا ، ولكن ذلك كان اختيارا للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله ، رغبة الذي يملك ولكنه يعف ويستعلي ويختار، ولم يكن رسول الله ﷺ مكلفاً من عقيدته ولا من شريعته أن يعيش مثل هذه المعيشة التي أخذ بها نفسه وأهل بيته ، ولم يكلف أمته كذلك أن تعيش عيشته التي اختارها لنفسه، إلا أن يختارها من يريد استعلاء على اللذائذ والمتاع، ولكن نساء النَّبيّ ﷺ من نساء من البشر ، لهن مشاعر البشر، وعلى فضلهن وكرامتهن ، وقربهن من ينابيع النبوة الكريمة ، فإن الرغبة الطبيعية في متاع الحياة ظلت حية في نفوسهن فلما رأين السعة والرخاء بعدما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين : راجعن النَّبيّ ﷺ ـ في أمر النفقة ـ فلم يستقبل هذه المراجعة بالترحيب،إنما استقبلها بالأسى وعدم الرضى . . ويصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة رسول الله ﷺ والذين عاشوا معه واتصلوا به ، وأجمل مافي هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان حياة ناس من البشر ، لم يتجردوا من بشريتهم ولا مشارعهم وسماتهم الإنسانية ، مع كل تلك العظمة الفريدة البالغة التي ارتفعوا إليها ، ومع كل هذا الخلوص لله والتجرد مما عداه، فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس، ولكنها ارتفعت وصفت ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة ، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان) [٢] .

---

(١) انظر دروس المساء بين المغرب و العشاء ، للشيخ عبدالحميد كشك ص ٣٠ .

(٢) في ظلل القرآن ٥ /٢٨٥٣ . ٢٨٥٥، ط دار الشروق ـ القاهرة ١٩٨٥ .

وتذكر بعض الروايات :(أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النَّبيّ ﷺ في هذا الموقف ، فنهى حفصة قائلاً : لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك ولايغرنك إن كانت صاحبتك أوسم منك وأحب إلى رسول الله ﷺ قال: فتبسم النَّبيّ ﷺ قال عمر: فقلت يا رسول الله أستأنس؟، أي أنبسط في الحديث؟ ، قال : نعم ، قال : فرفعت رأسي فما رأيت في البيت إلا أهبة ثلاثة ، فقلت يا رسول الله : ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدونه، فاستوى جالساً ، فقال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا . .)[1] .

وفي هذا ترى كيف رفض النَّبيّ مثل هذا التفكير ، ومقارنة حال المؤمنين وما يلاقون من شدة العيش بحال الكافرين وهم يتقلبون في النعيم ، فليس ما يلقاه المؤمنون لهوانهم على ربهم ، ولا ما يلقاه الكافرون لكرامتهم عنده ، وقد كان عمر رضي الله عنه يتوقع أن مثل هذا الكلام يزعج النبي ﷺ ، لذلك أستأذن في أن ينبسط في الحديث أولاً ، وبرغم أن الموقف في بدايته كان فيه شيء من الهدوء بدليل أنه ﷺ تبسم لكلام عمر الأول ، وأذن له أن يأخذ راحته في الحديث ، ولكن عندما قال عمر ما قال ، أفزعه الكلام حتى استوى جالساً ، واعتبر أن مثل هذا التفكير شك فيما وعد الله المؤمنين من خلود نعيم الآخرة وبقائه ، ثم بين أن هؤلاء الذين قد ينظر إليهم المؤمنون في عجب مما أعطاهم الله من النعيم قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا .

[٨] تعجل بعض الصحابة في مواجهة المنافقين :

النفاق شيء خبيث، يُحير أمر صاحبه،فهو مذبذب يُظهر شيئاً ويبطن غيره، كما قال تعالى ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ** ﴾ [النساء:١٤٣]

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٥٣٨) ك التفسير ، باب سورة التحريم ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب) . (وهذا جزء من الحديث فهو مطول جداً) . وأصله عند البخاري برقم (٤٩١٣) ك التفسير ، باب تبتغي مرضاة أزواجك .

والتعامل مع المنافقين يحتاج ضبطاً للأعصاب وأناة وتريثاً .

وعندما قدم النَّبيّ ﷺ المدينة وأصبح للمسلمين شوكة ودولة وجد فريق من أهل يثرب أنهم لا يقبلون الإسلام ديناً ، وفي نفس الوقت لهم مصالح يخشون عليها ، ففكروا أن يقبلوا الإسلام ظاهراً ، ويدبروا في دحره والقضاء عليه باطناً ، وعرف هذا الفريق باسم المنافقين .

ولم يأل المنافقون جهداً في الكيد للإسلام والمسلمين ، وكانت مواقفهم ظاهرة، فهم ليسوا أهل عبادة ونسك ، بل كما قال الله عنهم ﴿ **وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٤] ، وكذلك ليس لهم حمية في الدفاع عن الإسلام ، بل إذا دعوا إلى الجهاد اعتذروا قائلين : ﴿ **إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ** ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، وربما خرجوا في الجيش ثم رجعوا كما حدث في أُحد ، وربما مضوا ولكن لتثبيط الهمم وتخذيل العزائم . . وغير ذلك كثيرٌ .

وكان القرآن ينزل فيفضحهم ويكشف خبث نواياهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين ، ولكن هم مع ذلك في نظر من لا يعرف معدودون في صفوف المسلمين و محسوبون على الإسلام . لذلك لم يكن من السهل مواجهتهم أو معاقبتهم على كل فعل يصدر عنهم لأن ذلك سيُحدث خللاً عظيماً في الجبهة الداخلية في الدولة الإسلامية فكان لابد من احتمالهم بقدر الإمكان ، وعدم التعجل في مواجهتهم ، وكان هذا من الحكمة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .

ولكن عندما يطفح الكيل من أذاهم ربما يهم بهم بعض الصحابة رضوان الله عليهم .

ونختار هنا موقفاً أسفروا فيه عن نيتهم لإخراج المسلمين من المدينة كلها ، روى البخاري ومسلم بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (كنا في غزاة ،

فكسع)[١] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري: ياللأنصار ، وقال المهاجرين : ياللمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : **ما بال دعوى الجاهلية ؟** قالوا يا رسول الله :كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال : **دعوها فإنها منتنة** ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ النبيﷺ فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النَّبيّ ﷺ : **دعه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** ..)[٢] .

فهذا الموقف ـ والذي كان في غزوة بني المصطلق ـ كما عند أكثر أهل العلم غاية في الإثارة وتهييج الأعصاب ، رجل يشعل فتنة داخل الصف الإسلامي ، ويتطاول على مقام النبوة ، إنه شيء خطير .

قام عمر مغضباً قائلاً : (دعني أضرب عنق هذا المنافق) ، وليس عمر وحده الذي قام بل قام أُسيد بن حضير ـ أيضاً ـ لما بلغه الخبر ، فقال (يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي أفتن الناس أضرب عنقه) فقال رسول الله ﷺ أوقاتله إن أمرتك بقتله ؟ ، قال نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ اجلس ثم قال رسول الله ﷺ آذنوا بالرحيل)[٣] .

بل قام أيضاً ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبي قال يا رسول الله (إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل رأسه إليك، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعنيي نفسي انظر إلى قاتل عبد الله

---

(١) كسع : الكسع هو ضرب الدبر باليد أو بالرجل (فتح الباري ٨ /٦٤٩) .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٥) ك التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله ﴾ [التوبة : ٨٠] .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره ١٤ /١٣ ، ١٤ .

ابن أُبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ : « **بل نترفق به ونُحسن صحبته ما بقى معنا** » (١) .

وربما دار في نفس كثير من الصحابة مهاجرين وأنصاراً ـ نفس ما فكر فيه وعرضه عمر بن الخطاب و أسيد بن حضير وابنه عبد الله ، من قتل هذا المنافق ولكن سكتوا لما رأوا نهي النَّبيّ ﷺ لمن عرضوا قتله .

والناظر في موقف ابن أُبي يجد أنه لم يرتكب جريمة واحدة بل جرائم أقلها إثماً يستوجب قتله ، وأهمها :

[١] تحريض الأنصار على المهاجرين ، واستعمل في هذا العبارات البذيئة قال : (قد ثاورونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك) (٢) .

[٢] وضع خطة ماكرة للكيد للنَّبيّ ﷺ وأصحابه الكرام ، قال لمن عنده من المنافقين : (هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها) (٣) . وقد حكى الله تعالى هذا في سورة المنافقين : ﴿ **لا تُنفقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا** ﴾ [المنافقون : ٧] .

قال صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ :

وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع واللؤم ، وهي خطة التجويع التي يبدوا أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ، ذلك أنه لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة فيحاربون بها المؤمنين . . ناسين الحقيقة البسيطة التي

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ٦٠ / ١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٩ / ١٤ .

(٣) المرجع السابق ـ نفس الموضع .

يذكرهم بها القرآن قبل ختام الآية ﴿ **وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧)** ﴾ [المنافقون : ٧] (١) .

[٣] الدعوة لقلب نظام الحكم في المدينة ، وإخراج النَّبيِّ ﷺ وأصحابه منها ، وتلك من أكبر وأخطر جرائمه التي لا تحتمل السكوت عليها ، وقد سجل القرآن عنهم هذه الجريمة : ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** ﴾ [المنافقون : ٨] .

[٤] التهجم على مقام النبوة العالي، ووصفه بالذلة والضعة ، في حين ادعاء العزة والرفعة لنفسه ومن معه ، وذلك في قول ابن أُبي بن سلول ﴿ **لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** ﴾ وهذا تطاول خطير على مقام النبوة ، رده الله تعالى بقوله : ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ وبرغم هذا كله فإن النَّبيَّ ﷺ أمر أصحابه بضبط أعصابهم قال لعمر : (**لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه**) ، وقال لأسيد : (**اجلس**) ، وقال لابنه : (**بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**) وكان الصحابة ﷺ ، عند أمر قائدهم وقافين .

ولم يمتنع رسول الله ﷺ من قتله لشعور بالضعف ، لا ، ولكنه لبعد نظره رأي أنه وإن كان في قتله مصلحة إلا أنه سيترتب عليها مفسدة أكبر منها ، وهي التشنيع ضد الدعوة الإسلامية في المحيط العالمي ، إذا أن ابن أبي معدود في أصحابه وإن كان ظاهراً فقط ، وسوف يتحدث من لا يعرفون حقيقة الموضوع وليس كل الناس سيقف ـ على حقيقة ـ أن محمداً يقتل أصحابه غيلة أو صبراً ، وهذا من شأنه أن يصد الناس عن قبول الدعوة أو مجرد التفكير في مناصرتها .

وقد يقول قائل : لو أذن لابنه أن يقتله عندما عرض ذلك لكان حسناً لأن الناس سوف يقولون : بلغ من أذاه ومكره وسوء صنيعه ما لم يعجب حتى

---

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٧٩ .

ابنه فقتله .

لكن هذا تفكير خاطئ ، فلو أذن لابنه في قتله لكان التشنيع أكثر وأكثر إذا أنهم في مكة قبل أن يكون قتل وقتال ، كانوا يقولون عن النَّبيّ إنه يفرق بين الوالد وولده ، فكيف لو أمر ولده بقتل أبيه ـ ليس الظاهر الكفر ـ وإنما المعدود في صفوف المسلمين !! .

وقد اكتفى النَّبيّ من هذا الابن المؤمن بصنيع دون قتله أبيه يدل على مقدار ولائه لله ورسوله ﷺ (فقد وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبي على باب المدينة حتى جاء أبوه ، فقال له : والله لا تدخل حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله ﷺ ـ العزيز ـ ففعل هذا ولم يكن النَّبيّ ﷺ قد طلب هذا من ابنه ولكنه فعله حمية لإيمانه .

[٩] تعجل عمر بن الخطاب في موقفه من حاطب يوم الفتح :

وهذا موقف مشهور أنه كان سبباً في نزول سورة الممتحنة ، وفيه أن النَّبيّ لما توجه إلى فتح مكة أخفى جهة المسير عمن معه ، إلانفر يسير من أصحابه ، فإذا بحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يكتب كتاباً ويدفعه إلى امرأة تخفيه معها ليخبر به أقاربه في مكة ، فأطلع الله نبيه ﷺ على هذا ، فبعث علياً والزبير ، و المقداد في طلب هذه المرأة فلحقوا بها واستخرجوا منها الكتاب ، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقال النَّبيّ : ما هذا يا حاطب ؟ .

قال يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتدادا عن ديني، فقال النَّبيّ ﷺ : صدق ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال النبيّ ﷺ : « إنه قد شهد بدراً ، فما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، وفيه أنزلت هذه السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١] (١) .

فهذا الموقف خطير : فيه رجل من أصحاب النَّبيّ وليس رجلاً عادياً ، وإنما هو أحد من أطلعهم النَّبيّ على سر الجيش ، وفيه ما يكشف عن منحنيات النفس العجيبة ، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من إيمانها وقوتها ، ولا عاصم من هذه اللحظات إلا الله (٢) .

ثم يقف الإنسان عجباً أمام عظمة الرسول ﷺ وهو لا يعجل حتى يسأل : (ما حملك على ما صنعت) في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة على صاحبه ، ومن ثم يكف أصحابه عنه (صدق ولا تقولوا إلا خيراً) ، ليعينيه وينهضه من عثرته ، فلا يطارده بها و لا يدع أحداً يطارده . . بينما نجد عمر رضي الله عنه يدفعه إيمانه الجاد الجازم لأن يقول : (إنه قد خان الله ورسوله دعني فلأضرب عنق هذا المنافق) وعمر إنما ينظر إلى العثرة ذاتها فيثور حسه وإيمانه الشديد ، أما رسول الله ﷺ فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها ، ومن كل جوانبها ، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية ، في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف (٣) .

---

(١) انظر تفاصيل القصة في صحيح البخاري : برقم (٤٨٩٠) ك التفسير ، باب ﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٤) ك التفسير ، باب سورة الممتحنة ، وقال حسن صحيح .

(٢) انظر في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٣٨ .

(٣) في ظلال القرآن القران ٦ / ٣٥٣٩ .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(وإنما قال عمر ما قال ـ مع تصديق النَّبيّ ﷺ لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق ، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله استحق القتل ، لكنه لم يجزم به فلذلك أستأذن في قتله ، وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر وعذر حاطب ما ذكره ، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه) [١] .

وهذا يعني أن لو زلّ فرد في جماعة عن اجتهاد وليس عن سوء نية ، فلا ينبغي التعجل في الحكم عليه ، بل ينبغي أن يستوضح عن ملابسات هذه الزلة ويترفق به حتى يمكن رده إلى الصواب ،لأن العجلة والاندفاع في مثل تلك المواقف قد تحمل على العناد ، وبالتالي إلى الشقاق ثم التمرد، وبعد ذلك التضليل والتفسيق والتبديع ، وغير ذلك ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة .

الأناة مع الأعراب وعدم التعجل عليهم :

الأعراب قوم غلاظ الطباع ، جفاةٌ ، كلامهم في أكثر الأحيان جارح وربما مرد هذا إلى الطبع لا إلى قصد الإساءة ، ولكن من الذي يصبر على ما يصدر منهم ،ويتجاوز عن جفوتهم، إلا حليم ذو أناة ،ومن كالنبي ﷺ في أناته وحلمه ، حتى مع الأعرابي يتعدى ويسئ إليه ولكنه الرؤوف الرحيم .

فعند البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد فقام الناس ليقعوا فيه ، فقال النَّبيّ ﷺ : « **دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم مُيَسرين ولم تبعثوا مُعَسرين** » [٢] .

فهذا الأعرابي عمل شيئاً اعتبره الصحابة الكرام أنه انتهاك لحرمة المسجد الذي عرفوا قيمته في مجتمعهم ، وأنه له المكانة الأولى ، فدفعهم التعجل إلى أن

---

(١) فتح الباري ٨ / ٦٣٤

(٢) صحيح البخاري ٢٢٠ ك الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد .

همّوا أن يقعوا به ويضربوه ، ونسوا أنه قد يكون جاهلاً وقد يكون مجنوناً ، وقد يكون مدفوعاً عليهم من جهة خصوم الدعوة ليفعل هذا الفعل ويرى مدى رد فعلهم !! .

ولكن النَّبيّ ﷺ صاحب الأناة أدرك هذا كله فكفهم عنه وقال دعوه ، فإن ما فعله يمكن إصلاحه بإراقة دلو من الماء عليه ، أما إن تركهم لضربه فقد يموت ويتلف في أيديهم ، أو على الأقل يأخذ انطباعا سيئاً عن هذه الدعوة فينفر منها ولا يستجيب لها ، ولذلك أعجب الأعرابي ما كان من حلم النَّبيّ وأناته ولم يعجبه تعجل الصحابة الذين همّوا به حتى إنه لما جعل يدعو الله كان يقول ـ كما في بعض الروايات ـ (اللهم ارحمني وارحم محمداً ولاترحم معنا أحداً) [١] ، يقصد الذين تعجلوا في الهم بالإيقاع به وضربه .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :

(أمرهم بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما ، وتحصل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما ، وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولاسيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه) [٢] .

وذات مرة كان النَّبيّ ﷺ يجلس في أصحابه إذ جاءه أعرابي فقال : يا محمد أعطني فليس المال مالك ولا مال أبيك ، فهمّ به الصحابة أن يضربوه ، فقال النَّبيّ ﷺ خلوا بيني وبينه ثم قام وأخذ الأعرابي فأعطاه حتى رضى ، ثم قال له : لقد قلت ما قلت وفي نفس أصحابي منك شيء، فإن شئت فاخرج فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ليذهب عنك ما في نفوسهم، فخرج النَّبيّ على أصحابه فقال : لقد أعطيت هذا الأعرابي حتى زعم أنه رضى ، أليس كذلك .

---

(١) انظر فتح الباري ١ / ٤٣١ ط دار الفكر ـ بيروت ٢٠٠٠ (وعزاه إلى سُنن الترمذي) .
(٢) فتح الباري ١ / ٣٣ .

فقال الأعرابي : بلى ، وجزاك الله عني خيراً يا رسول الله .

ثم التفت إلى الصحابة وقال لهم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كرجل شردت منه ناقته فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فقال لهم خلوا بيني وبين ناقتي فأخذ لها من خشاش الأرض وجعل يناديها فجاءت واستناخت فشد عليها رحله ومتاعه،وإني لو تركتكم حين قال الأعرابي ما قال فقتلتموه لدخل النار[١].

فهذا الموقف أيضاً يدل على فضل الأناة والرفق وأثره في التعامل مع الجاهل ، لقد غيظ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذا الأعرابي الذي جاء به متهجماً متعدياً على مقام النبوة بهذه الطريقة ، فأرادوا أن يقوموا بتأديبه ، فمنعهم النَّبيّ وأدبه بطريقته ، طريقة الذي يعرف كيف تسترضي النفوس الثائرة ، ويستل منها هياجها ، طريقة العارف بالنفوس ، فأظهر الأعرابي بعد ذلك من محاسن الأدب ما يدل على فضل تأديب النَّبيّ ﷺ ، رضي وقنع وجزى النَّبيّ ﷺ خيراً .

ويعطي النَّبيّ لأصحابه من هذا الموقف درساً ، فيضرب لهم مثالاً ليقرب لهم الفهم ، برجل شردت له ناقة (كالأعرابي) فخرج الناس خلفها ليمسكوها مساعدة لصاحبها عليها فازدادت نفوراً من كثرتهم ، فقال لهم اتركوني فأنا أخبر بها منكم ، فجعل يتلطف بها ويناديها بشيء من حشيش الأرض ، حتى اطمأنت إليه فجاءت إليه مسلمة زمامها ، مستعدة لطاعته .

ولو أنه تركهم حين دفعهم التعجل لتنفيذ ما هموّا به من تأديبه لربما زاد الأمر عن حد التأديب فوصل إلى القتل،وهذا وارد، لأن المتعجل الذي يدفعه الغضب دفعاً ليضرب لا يدري متى وكيف يكف يده، فلو قتلوه قال النَّبيّ ﷺ لدخل النار لتهجمه على مقام النبوة ، ولكنه عليه الصلاة والسلام حريص على استنقاذ الناس منها بكل وسيلة ، فكيف ينسى هذا الأصل الذي يرتكز عليه

---

(١) أورد هذا الخبر الشيخ محمد أبو شهبة في السيرة النبوية ٢ / ٦٣٩ وعزاه إلى مسند البزار، وانظره أيضا في كتاب الشفا للقاضي عياض ١ / ٩٦ .

عمله الدعوي في وقت الهياج والغضب .

ومواقف غلظة الأعراب في معاملة النَّبيّ ﷺ كثيرة وكلها تدل على فضل الأناة وذم العجلة من خلال إرشاد النَّبيّ ﷺ لأصحابه وكفهم عنها لأنه يعلم نتائجها وعواقبها .

وما أكثر الجاهلين في مجتمعاتنا الإسلامية الذين لا يقلون في درجة جهلهم عن الأعراب ،وهم بحاجة إلى أن نترفق بهم ـ كدعاة إلى الله ـ لا أن نعجل عليهم، فنجهل فوق جهلهم على حد قول القائل الجاهلي :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهكذا رأينا موقفه ﷺ من العجلة، وهو الرفض التام لها ،وسيره في أصحابه بالتأني والرفق ، وضبط النفس ، يعفو ويحلم على الجاهل ، ويوجه ويرشد المخطئ إلى الصواب لايعنفه ولايزجره وينظر في عواقب الأمر بنظر بعيد ، ويدفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر ، ويترك المصلحة المحققة إذا علم أنه يترتب عليها مفسدة أكبر منها ، ويبرأ إلى الله من تعجل المتعجلين ، ويعالج المواقف بحكمة علاجاً شافياً كافياً .

وعلى الأمة أن : تترسم خطاه في كل أمورها ، علّها تبلغ شيئاً من حكمته التي جللته بالهيبة وكسته بالوقار في نظر المحب والكاره .

وعلى الأمة أن : تعيد حساباتها في كل مواقفها ، لتعرف الفرق بين الأناة والذلة ، والعجلة والعزة . وأنه ليس الأناة ذلة ولا العجلة عزة ، فكم من ذي أناة وهو عزيز كالجبل في شموخه ، وكم من متعجل وهو ذليل خانع .

وسوف نعرض في المبحث القادم ـ إن شاء الله ـ صوراً ومواقف من العجلة في واقعنا المعاصر لعلنا نقف وقفه جادة لمحاسبة أنفسنا ، والاعتراف بما فيها من النقص والتهور والاستعجال ، والله المستعان .